الهوية الروحية للزواج المصري الكاثوليكي

يدور الحديث بين المصريين عامة، والمسيحيين خاصة، هذه الأيام حول التشريع المرتقب صدوره في قانون الأحوال الشخصية للأسرة المصرية، سواء المسيحية أو المسلمة، والذي تقدمت الحكومة المصرية به إلى البرلمان لمناقشته وصياغته وإقراره عند الانتهاء منه، ليقوم سيادة الرئيس عبد الفتاح السيسي، رئيس الجمهورية، بالتصديق عليه ودخوله حيز النفاذ في واقع العائلة المصرية.

لا شك أن القاعدة الأولى التي تربينا عليها في دراستنا لعلم الاجتماع هي أن "الأسرة نواة المجتمع"، وهو ما يمنح القانون المرتقب أهمية كبرى، إذ تخاطب مواده كل بيت مصري. وأمام القيمة الرفيعة لهذا القانون الاجتماعي والإنساني، يبرز ما يستوجب إدارة حوار مجتمعي صحي ينتهج المناقشة الجادة والحوار الرصين، بغية اكتشاف هذه الوديعة الثمينة – الأسرة – ورسالتها الفريدة في بناء الفرد والمجتمع.

وفي شأن الأسرة المصرية المسيحية، أرى أن البداية الصحيحة لمناقشة القضية تأتي من إعادة قراءة المبادئ الأساسية للحياة العائلية، انطلاقًا من المنابع التعليمية والفكرية، فضلاً عن الهوية الروحية لكل كنيسة. وهو ما يدعو كاتب هذه السطور إلى إلقاء ضوء ضروري حول «ماهية الزواج المسيحي» في تعليم الكنيسة الكاثوليكية المصرية، استنادًا إلى «مجموعة قوانين الكنائس الشرقية»، التي تعرض رؤية الكنيسة وتنظم عملها".

يتناول الفصل السابع من مجموعة قوانين الكنائس الشرقية موضوع الزواج في ثمانية مواد أساسية من القوانين (766 – 866). ويستهل القضية بتعريف الزواج في (ق 766) بأنه عهد وضعه الخالق وحصنه بشريعته، يقوم على رضى الرجل والمرأة الشخصي، الذي لا رجعة فيه، ويقيم بينهما شركة تشمل الحياة بأسرها .وهو مرتب بطبيعة أمره لخير الزوجين وإنجاب البنين وتربيتهم. أي أن الزواج عهد بين الزوجين صنعه الخالق ونظم شرائعه، ويُستمد من مشيئة الله الخلاصية، لذا يبقى الوحي الإلهي المصدر الوحيد لتحديد هويته وتشريعه. فالزواج يدخل في قصد الله الخالق منذ البدء من أجل خير الإنسان .

في شرحه لمدلول كلمة "عهد "في مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، يقول نيافة الأنبا باخوم، النائب البطريريكي لشؤون الإيبارشية البطريركية وأستاذ القانون الكنسي: " يستخدم القانون الشرقي كلمة "عهد" بدلاً من كلمة "عقد"، التي كانت تستخدم سابقًا لتحديد هوية الزواج، وبذلك يتبع القانون التقليد البيبلي والأبائي، وأيضًا تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني حول الزواج كعهد، إشارةً إلى العهد الأبدي الذي أقامه الله مع الشعب المختار وتحقق في المسيح. فتعريف الزواج على أنه عهد يجعل منه صورة لذلك العهد الإلهي، صورة لاتحاد الله بشعبه، وصورة لاتحاد المسيح بالكنيسة".ويضيف الأب المطران في محاضراته حول "سر الزواج" لطلبة كلية العلوم اللاهوتية بالسكاكيني : " وإن كان القانون الشرقي يستخدم كلمة "عهد"، فما زال تعبير "عقد" يُستخدم كمصطلح قانوني للإشارة إلى الزواج. فالزواج هو عقد، وإن كان يتميز عن غيره من العقود بأن موضوع العقد (مجال الاتفاق) بين الزوجين ليس مادياً، بل هو الذات نفسها وكل الكيان الشخصي لهما. كما يتميز بأنه، بعد قبوله برضى شخصي من الزوجين وبمشيئتهما، يسمو بهما إلى مشيئة الله. فلا يعد هذا العقد تابعًا لمشيئتهما فحسب، بل لمشيئة الله وقصده. أي لا يملك أي طرف أو سلطة أخرى الحق في فسخه أو تعديله".

وللحديث بقية ....

+ الأب بطرس سمعان